

معتقل تورين (TURENNE) " صبرة " :

الوجه الدفين للجريمة الاستعمارية

أ. عبد الرحمان كريب

جامعة ابن خلدون تيارت

لم يكن من السهل الحصول على معلومات دقيقة وشاملة حول معتقل تورين وجرائم فرنسا التعذيبية في منطقة صبرة، ذلك إن تورط أحد المجاهدين (ب.ل) مع الصحافة الفرنسية حول اختفاء مجموعة من الفرنسيين في جبال المنطقة أثناء الثورة، وتبعات هذه القضية مع جهات أمنية، قد ألقى بظلاله على السنة بعض من حدثونا فلم تعد تنطق إلا قليلا وبمشقة. كما أن معالم هذا المعتقل قد اختفت نتيجة استيلاء البعض على بنياته وإحداث تغييرات عمرانية جذرية عليها، وبالتالي أصبح عملنا صعبا، يحضر في ذاكرة المجتمع التي أخذت تتآكل مع طول الزمن. يدل على ذلك الاختلاف في جوانب بعض الروايات إلى حد التناقض أحيانا، مما فرض منهجية انتقائية، تستبعد مثل هذه الحالات، وهذا ما يكشف عن صعوبة المهمة في كتابة التاريخ المحلي، الذي يشكل حلقة أولية وأساسية في كتابة التاريخ الوطني بشكل عام.

إستراتيجية المنطقة في العمل الثوري :

إن "تورين" (Turenne) هو الاسم الفرنسي لمدينة صبرة حاليا، تقع هذه المدينة غرب تلمسان بين بني مستار ومغنية على الطريق الوطني رقم 7 في سفوح جبال موطاس وقريعن تتميز بطابعها الفلاحي وتشتهر بإنتاج زيت الزيتون. تكون قد سجلت حضورها في الانطلاقة الثورية الوطنية ليلة أول نوفمبر 1954 لما أقدم مجموعة من المجاهدين على حرق

مخازن الفلين في غابة أحفير (موقع جبلي جنوب صبرة وقد أشرف على هذه العملية المجاهد المرحوم وهراني أحمد ولد الميلود المدعو السي لخضر والمتوفي سنة 2011م؛ وهو نائب رئيس القسم الخامس العسكري). وبعد التريث للسماح بمرور السلاح من الجهة الغربية حسب توصيات القيادة العسكرية العليا لجيش التحرير ممثلة في: العربي بن مهيدي، عبد الحفيظ بوصوف ..، التي كانت تجوب المنطقة تحت رعاية قادة القسم ومجاهديها، شهدت هذه الأخيرة في أكتوبر 1955 انطلاق العمليات العسكرية المنظمة التي استهدفت قواعد الاستعمار ورموزه المدنية والعسكرية. (بونوار، أ، مقابلة: 2011/08، صبرة)

تم تقسيم المنطقة الغربية بعد انطلاق الثورة الى سبعة أقسام، تشكل صبرة ونواحيها المنطقة الوسطى من القسم الخامس الذي يبدأ من قرية تافنة غربا ويتجه نحو الشرق شاملا جبال موطاس وتلمسان نحو أولاد ميمون، أما من الناحية الشمالية فيشمل مشارف بوغرة الجنوبية ثم منطقة أولاد رياح و الرمشي وبني سكران إلى قرية عقب الليل بناحية عين تيموشنت الجنوبية، وتمتد حدوده الجنوبية لتضم سيدي مجاهد ودوار بوسدرة وجهة الكاف، وتمثل مدينة تلمسان المنطقة الإستراتيجية لهذا القسم الذي تولى قيادته الشهيد بوزيدي محمد ولد لحسن 1918- 1957 والمدعو عقب الليل، ويمكن القول أن هذا القسم قد تحول في ظرف وجيز إلى ميدان للعمليات الثورية المختلفة بعدما تم إنشاء وتكوين الهياكل القاعدية له في جوانبه العسكرية والمدنية. (بوزيدي، ل. 2010: 43) حينها أدرك الفرنسيون خطورة الموقف وأبعاد الانتشار السريع للثورة على الحدود الغربية وعلى مصالحه الاقتصادية خاصة المعمرين أصحاب

المزارع والضيعات الواسعة، فتحالف الطرفان على عمل إستراتيجي سريع لخلق الثورة في المهدي وملاحقة المجاهدين في جبال موطاس وقريعن والبحث عنهم في ظلال الغابات الكثيفة وفي المخابئ العديدة التي أنجزت قبل اندلاع الثورة.

معتقل تورين: الموقع والهدف:

كان تحويل إحدى ممتلكات المعمرين إلى معتقل ومركز للاستتطاق والتعذيب سنة 1956، أولى مراحل رد الفعل الفرنسي اتجاه الثورة في المنطقة. وما كان مرتجلا في البداية أصبح فيما بعد مؤسسة لها هيكلها وأجهزتها وأساليبها، وهو ما يعرف بالمكتب الثاني (Deuxième bureau) للاستخبارات العسكرية، يضاف إلى عمل الدرك الفرنسي ومركز دار روستان للتعذيب؛ وهو معمر فرنسي شغل منصب رئيس بلدية تورين في هذه الفترة، حول أحد منازلها إلى معتقل للقتل والتعذيب. كان يحوي هذا المركز ثلاث مطامير عميقة، مملوء نصفها بالماء، يلقي بها السجناء لمدة زمنية طويلة، وقليل ما كانوا يخرجون منها أحياء.

يقع معتقل " تورين " غرب المدينة في زاوية التقاطع بين شارعي : بوجنان بلقاسم وغالم محمد قرب منازل حراس الغابات. يتربع على مساحة بـ 800 م²، كان يضم مكتبا إداريا وثلاث زنانات صغيرة الحجم وعشر حجرات عوضت الخيام التي نصبت أول مرة، يبلغ اتساع الحجرة الواحدة حوالي 20 م²، يتكدس فيها غالبا حوالي 18 معتقلا، ومن الناحية الغربية للمعتقل أنشئ مركز للحراسة، وعلى مدخل الباب الرئيسي يقف البواب مزودا بكلب حراسة عانى منه المعتقلون الأمرين،

فلم يكن يمر يوما دون أن يكون أحدهم ضحية له .أما ساحة المعتقل فهي عريضة خصص في جانبها الآخر مكانا لاعتقال النساء قيد التحقيق.يصل عددهن في بعض الأحيان إلى الأربعين امرأة. (بلعباس ع ، 2011/9 ، صبرة)

شكلت روايات محدثينا المصدر الرئيسي للمعلومات الواردة في هذه الورقات و التي تم الاقتصار فيها على من عرض على المكتب الثاني دون غيره من المراكز الأخرى ، وستظل شهادات حية على همجية الاستعمار وجرائمه ، حرص على إخفائها بكل ما أوتي من وسائل. وبناء على ما تضمنته ، وباعتبار المعتقل مركزا للاستتطاق والتحويل ، فإن عدد المعتقلين كان يتراوح بين 130 و 300 سجين على مر سنوات الثورة . وكانت مدة الاعتقال تدوم من يوم واحد إلى 8 أشهر.ونستنتج أيضا ان الغرض الأساسي من إنشاء المعتقل هو الوصول إلى المعلومة عن حركة السلاح والتموين الخارجي عبر الحدود الغربية ، إذ مثلت المنطقة احد شرايين الدعم اللوجستيكي للثورة ، يدلنا على ذلك أن اغلب المعتقلين هم من فئة المسبلين التي كانت تشكل عين وأذن الثورة اللتان تسمع وترى بهما ، كما أنه من القي عليه القبض من المجاهدين فإما أن يعدم مباشرة إذا أصر على الكتمان أو يحول إلى سجون أخرى ، حسب درجة خطورته ، ولن يمكن طويلا بالمعتقل.

أنواع التعذيب وأساليب الاستتطاق :

عرف أهل المنطقة في هذا المركز أقسى أنواع التعذيب والمعاملات اللاإنسانية ، وكثيرا ما كانت تفيض عيون من قابلتهم بالدموع إثر

سردهم لمعاناتهم على طاولات الاستتطاق الإسمنتية وتحت سياط الجلادين.

كان يلقي بالواحد منهم حسب شهاداتهم فوق طاولة التحقيق على ظهره منزوع الثياب كلها ، ويربط من يديه ورجليه بإحكام شديد ، ويتم وصل خيوط الكهرباء بأذنيه وبالأماكن الحساسة من جسده ليجبر على الإعراف. ومن فرط استعمال هذه الوسيلة فإن أحد المعتقلين وهو المجاهد لحسن قدور من منطقة الزاوية كان مسؤول خلية في جيش التحرير لم يعد يستجيب جسمه لتأثير التيار الكهربائي .(العرابي م ، مقابلة 2011/09 صبرة)

ومن أصناف التعذيب التعليق من اليدين ، ويربط للمستتطق قطعة حديدية مع قدميه يصل وزنها إلى 8 كلغ يتسبب ثقلها في تتصل أطرافه³⁹ ممن تعرض لهذا النوع المدعو لباد عبد القادر.

ومما يكشف عن همجية الإستعمار وجريمته في حق الشعب الجزائري ما رواه لنا المناضل بن ميلود محمد عن ما تعرض له المجاهد بن عيسى بلخير ولد العربي من (زكدونة) وكان مسؤول الخلية ، والخلية في تنظيم جبهة التحرير تطلق على مجموعة من المناضلين لا يتجاوز عددهم العشرة في الغالب ، يجتمعون أسبوعا تحت مسؤولية مناضل ، يتلقى من مسؤول الفوج التعليمات والأوامر والأخبار الجديدة المتعلقة بسير الثورة ، وقد مثلت الخلية نظاما اجتماعيا وسياسيا رائعا (مرتاض، ع، 2001، 75). وكان عمر ذلك الشهيد آنذاك 61 عاما، إذ تم إكتشاف مخبأين في منزله أحدهما للسلاح والآخر للجنود ، فذاق ويلات العذاب لمدة 3 أشهر بداية من شهر جانفي 1957. كان يرمى بعد الاستتطاق في بركة مائية

متجمدة حتى ينتفخ، ثم يسحب من قديمه على ظهره فوق أرضية مفروشة بالحجارة المسننة ذهابا وإيابا على إمتداد عشرون مترا، وتنتهي العملية بتفتت لحم ظهره، ثم يرمى في حجرة خاصة دون علاج مما أدى إلى تعفن جروحه وأخذت الرائحة الكريهة تتبعث من جسده المتهاوي على الأرض. (بن ميلود، م، مقابلة 08/، 2011، صبرة)

لقد عانى المعتقلون قيد التحقيق من القيود والسلاسل في الأيدي والمشدودة إلى الظهر، ومن وضع عمود خشبي أسفل الركبتين مع تقييد اليدين إليها، ونزع الاظافر، وقضم اللحم بواسطة الكلايب، وملء الصهاريج بالماء والقاء السجين بها مكتوف الأيدي مع كهربية الماء، وكانت الزنانات تفرش بالماء حتى يمنع المسجون من النوم ويبيت قائما منهكا ليفقد تركيزه وقوة مقاومته، كما يمنع عنه الماء أما الطعام فيعطى بالقدر الذي يبقيه حيا.

تولى عمليات التعذيب الاسبان خاصة، وبعض الحركة الخونة من الجزائريين فيما بعد، ويروي لنا محدثونا أن المسؤول عن التعذيب وهو معمر من الاسبان كان يرتدي قفازين مثبت عليهما مسامير إذا لطم الواحد وجه السجين انسكب الدم منه بغزارة. أما حجرات الإعتقال فكانت تتعدم فيها شروط الحياة، فقد كان السجناء يفترشون التبن ويعطى للواحد منهم غطاء واحدا مهترئا يلتحفه، ويقضي المساجين يومهم في الأشغال الشاقة خارج المعتقل منذ الصباح الباكر ولا يجدون ما يسدون به رمقهم سوى طعام لا يسمن ولا يغني من جوع بخبزة واحدة بين خمسة رجال.

وفي جانب آخر يتحدث أحدهم عن مظاهر التضامن بين المعتقلين وعاطفة الاخوة والاحترام المتبادل بينهم ، وتداول الأخبار ومتابعاتهم لتطورات الثورة في الخارج.(بن أحمد ، ط، مقابلة 08 / 2011 ، صبرة) كما لعب المعتقل دورا ثقافيا وسياسيا بارزا على عكس ما أراده له الفرنسيون حيث تعلم بها الأميون الكتابة والقراءة وتلقوا جانبا من التكوين السياسي والفكري.

مصير المعتقلين:

تنتهي مرحلة الإعتقال هذه إما بإطلاق سراح المعتقل في إنتظار العودة اليه مرة أخرى بتهمة جديدة ، أو يتم تحويله إلى مراكز إعتقال أخرى في السجون الكبرى مثل : القصبة بتلمسان ووهران والجزائر العاصمة والمدية وباتنة حيث يحكم عليهم بسنوات السجن ، او المؤبد ، او النفي .وقد يلفظ الأسير أنفاسه تحت آلة التعذيب فيرمى بجثته بعيدا مثل جندي جيش التحرير دلال بوشارب 1924 - 1957 أستشهد تحت التعذيب بالكهرباء و الماء و رمي في بئر - برط - شمال صبرة ، (بن ميلود ، م، مقابلة 08/2011 ، صبرة) و هى الظاهرة التى ميزت هذا المعتقل خاصة لما يبدي المستنطق اصرارا على الصمت وعدم افشاء سر الثورة ، وأما الحالة الأخيرة فهى الإعدام المباشر في حق المعتقل وقد زدنا المجاهد بن أحمد الطيب رئيس مندوبية صبرة للمجاهدين بوثيقة مهمة تتعلق باصطلاحات الإعدامات الفرنسية 1954 - 1962 تبين أهم طرق الإعدام التي نفذت في بعض المعتقلين:

- 1 - الموت الرحيم: إلقاء الأسير في الآبار العميقة أحياء. مثل قويدر الطاهر، بن عبد الرحمان البوزيدي، دحمانى لخضر.

- 2 - الإعدام الإستعراضي : إعدام الأسير وسط التجمعات وأمام أقاربه مثل بغالم محمد ولد عبد السلام 1958 ، وغالم بغالم
 - 3 - الإعدام الرياضي : إلقاء الأسير من المروحيات في الجو فوق قراهم حيا
 - 4 - الإعدام بالتقييط : قطع بعض أجزاء الأسير رويدا رويدا حتى الموت.و كثيرا ما كان يدفن المعتقلون دون بعض الاعضاء.
 - 5 - الإعدام المفخخ : تفخيخ الأسرى وتفجيرهم عن بعد مثل.زناقي محمد ولد الحبيب
 - 6 - الإعدام السريع: دفع الأسير للهروب وإطلاق النار عليه من خلفه وهذا يمثل غاية في الجبن.
 - 7 - الإعدام بواسطة : السم - الكهرباء - ومنهم من رمى للكلاب تلتهم أطرافه
 - 8 - الإعدام بالخنق : وضع رأس الأسير في صهريج ماء حتى قطع أنفاسه.
 - 9 - الإعدام المضغوط: التواء أفعى على جسد الأسير حتى تكسر عظامه. مثل عصماني قويدر من أولاد رياح (بن أحمد ، ط ، 2005 ،
- يومية الشعب الجزائرية: العدد 75751) ص6
- بقدر ماتكشف هذه الشهادات عن المعاناة الشديدة للجزائريين من الآلة الاستعمارية الطاحنة و المعاملة القاسية دون رحمة ولاشفقة فانها تبين عظمة هؤلاء الرجال وتظهر معدنهم النفيس واستماتتهم من أجل حرية الشعب الجزائري و كرامته ، وقد تكون هذه الورقات جزءا من رد

الدين للذى على جيل الاستقلال و أهل التخصص من كتبة التاريخ اتجاه هؤلاء الأحرار.

المصادر والمراجع:

- 1- المعتقلون الذين تمت مقابلتهم:
- بن ميلود محمد من مواليد 1929 مسؤول خلية، مقابلة يوم 25 أوت 2011
- أحمد بو نوار المدعو - التيجيني - 1927 رئيس فرع مقابلة 29 أوت 2011
- بن أحمد الطيب المدعو رشيد من مواليد 1942 جندي جيش التحرير، ومحافظ سياسي، كان ابوه قائد عرش مقابلة يوم 12 أوت 2011
- العربي الميلود ولد محمد 1933 كانت مهمته اتصال، مقابلة 05 سبتمبر 2011
- بلعباس عبد القادر من مواليد 1927 مسؤول خلية 06 سبتمبر 2011
- 2- بوزيدي لحسن، 2010، عقب الليل وثورة داخل الثورة 1954- 1957، الطبعة الأولى، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع،
- 3- بن أحمد الطيب، 2005، اصطلاحات الإعدامات الفرنسية 1954- 1962، منشورات مندوبية صبرة للمجاهدين، (ملاحظة : تم نشر هذه المصطلحات على صفحات جريدة الشعب اليومية الجزائرية بتاريخ: الأربعاء 28 ربيع الثاني 1433، الموافق ل21 مارس 2012، العدد 75751، ص 06

- 4- عبد المالك مرتاض، 2001. ط2 ، الجزائر، دليل مصطلحات
ثورة التحرير الجزائرية 1954 - 1962 منشورات المركز الوطني للدراسات
والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954.